«ديوان أحمد بن يوسف الجابر»

إصدار: مركز الوثائق والدراسات الانسانية

جامعة قطر - ١٩٨٢م

تحقيق

أ. د. يحيى الجبوري

د. محمد عبدالرحيم كافود

- مراجعة -

ظبية عبدالله السليطي

«بسم الله الرحمن الرحيم»

اهتم مركز الوثائق والدراسات الانسانية -وحدة الآداب والفنون- بإدراج تحقيق دواوين شعراء المنطقة ضمن خطته الخمسية ، فكان صدور الديوان الأول منها في عام ١٩٨٣م ، وهو ديوان أحمد بن يوسف الجابر ، الذي قام بتحقيقه كل من : الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري والدكتور محمد عبدالرحيم كافود . يعتبر ديوان الجابر أول ديوان قطري يحقق تحقيقاً علمياً ومن قبل هيئة علمية ، وستليه بمشيئة الله دواوين أخرى . والشاعر الجابر يحتل مكانة كبيرة بين شعراء قطر ، لذا فإن تحقيق ديوانه يضيف مصدراً موثقاً هاماً إلى المكتبة الأدبية القطرية .

قام الباحثان بمجهود يحفظ لهما في توثيق هذا الديوان خاصة وأن شعر الشاعر كان متناثراً بين مكتوب بخطه ومحفوظ في صدور من عرفهم وعرفوه ، وبين مطبوع في نسخ كتاب «درر المعاني في مدح آل ثاني» أو في أوراق متناثرة عند الأصدقاء والمعارف . وكان لوجود الشاعر بين ظهرانينا ميزة ساعدت في إخراج الديوان بشكله الحالي .

بدأ الباحثان بمقدمة أوضحا فيها أهمية تحقيق ديوان شاعر معروف كأحمد بن يوسف الجابر واعتباره نموذجاً للشعر الخليجي وممثلاً للشعر العربي : -«في أعز عصوره فالقارىء لشعره يجد مسحة الشعر الإسلامي بل الجاهلي ، ويجد فيه أيضاً صدى الصحراء وأنسام البادية وأمواج البحر»(١) والقارىء لمقدمة الديوان يجد أن طريقة التحقيق سارت على النحو التالي :-

١ - اعتماد الأصول المخطوطة لشعر الشاعر بالدرجة الأولى .

٢ - المقارنة بين المخطوط والمطبوع في كتاب أو جريدة أو ورقة وبيان أوجه الخلاف أو النقص؟!

(١) ديوان أحمد بن يوسف الجابر ، ص٣ .

٣ - الالتقاء بالشاعر نفسه وجلاء بعض الغموض الذي أحاط بالشعر .

٤ - اثبات المقدمات للقصائد كما هي ، كما كتبها الشاعر أو كما وضعها بعض ناشري كتاب «درر المعاني» .

وقد رمز المحققان لمصادر الديوان برموز معينة :

الأصل : وهو ما جاء بخط الشاعر .

خ : طبعة عبدالمجيد الخفاجي من ديوان «درر المعاني في مدح آل ثاني» طبع دار العروبة - بدون تاريخ .

م : الجزء الأول من ديوان «درر المعاني» طبعة سنة ١٩٥٧م .

ش : مطبعة محمود شعبان من ديوان «درر المعاني» . سنة ١٩٦٠م . مطبعة كوستاتوماس - القاهرة .

كما ذكرا أن بعض الشعر وجداه مطبوعاً على آلة كاتبة ولكنهما لم يضعا رمزاً له ولم يقارناه بالمسودات التي أخذاها من الشاعر على الرغم من أن ذلك وارد عنهما في مقدمة الديوان . أما منهج ترتيب القصائد فقد قام على الترتيب الهجائي لها مع ترقيمها وترقيم أبياتها والتعليق عليها ومع وضع نجمة في بداية هامش كل قصيدة لبيان الأصول التي اعتمد عليها الباحثان في توثيقها واختلاف الروايات في الأبيات مع الشرح والتعليق . كذلك أشار المحققان إلى أن لغة الشاعر تميل في أحايين قليلة إلى الإغراب فكان لابد من شرح مثل هذا وإيضاحه مع الإفادة بشروح من سبقوهما في إخراج شعر الشاعر . إضافة إلى تعريف أسماء الأعلام والمواضع والمواقع تعريفاً موجزاً ، وأتبعا ذلك بالكتابة عن أحمد بن يوسف الجابر (حياته وشعره) وقد اقتضى الأمر أن يمهدا لذلك بموجز عن الحياة الثقافية والأدبية التي عاصرها صاحب الديوان ، ثم جاء صلب الديوان . وعلى هذا فترتيب التحقيق كان على ثلاثة أقسام :

١ - المقدمة .

٢ - نبذة عن حياة الشاعر وشعره .
٣ - صلب الديوان وشرح مفرداته .

وشملت المراجعة هذه الأقسام جميعاً وذلك حرصاً على توفير الدقة في تتبع العمل الذي بذل فيه محققاه جهداً لا ينكر . والقارىء للمقدمة يجدها قد بدأت بذكر أن أحمد بن يوسف الجابر «أكبر وأقدم شاعر عرفته منطقة الخليج»(١) ولا أحد في قطر ينكر أن الجابر شاعر معروف لكن هذه العبارة التي أطلقها المحققان بحاجة إلى تحديد زمني وعلمي فتحديد الأكبر والأقدم لابد أن توضع له مقاييس معينة . فإذا قلنا أكبر شاعر فنحن نلغي شعراء كثيرين مشهود لهم عاشوا في نفس المنطقة أمثال طرفه بن العبد وابن مقرب العيوني وقطري بن الفجاءة وشعراء كثيرين في الكويت والبحرين والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . إذا قلنا «أقدم» فهل أحمد الجابر أقدم من طرفة أم أقدم من العيوني أم أقدم من كثيرين ممن سبقوه . إن هذه العبارة العائمة لتفاجئنا من السطر الأول في ديوان محقق يفترض فيه أنه صادر عن هيئة علمية شعارها الدقة العلمية في اللفظ والتعبير ، ولا يقبل مثل هذا ممن هم أقل باعاً في العلم فكيف يقبل من أساتذة . نصل إلى السطر الثالث فنجد عبارة «أرّخ للحياة العامة» وحسب ظني أن هذا التعبير يقصد به حياة الناس العاديين وسيرها وتأثيرها وتأثرها ، وهذا ما لا نلاحظه في ديوان شاعرنا اللهم إذا اعتبرنا ذكر الفقراء وعطف الأمراء عليهم وذكره لمشكلة اجتماعية واحدة مثل مشكلة الخنافس تأريخ للحياة العامة في قطر ، إن هذا لا يمثل نسبة تذكر في الديوان فكيف أصبح تأريخاً . وهذا رأي شاركني فيه المحققان عند إفرادهما الحديث عن الشاعر بذكرهما أن المديح يغلب عليه وخاصة مديح الحكام : «في حين أن الجانب الاجتماعي يبدو ضئيلاً للغاية عنده ، وربما يعود

(١) الديوان ص ٣ .

ذلـك إلى كون الشاعر قد التزم الجانب الرسمي بحكم عمله ووظيفته»(١) . ولقد أصاب المحققان حينما قالا أن الجابر وظف «جل شعره في سبيل قطر والتغني بحبها وأمجادها وآمالها وطموحها»(٢) .

هذا ما نلاحظه من خلال مدحه لأمراء قطر الذين يرى الشاعر أنهم تجسيد لهذه الآمـال ورعاة لها ، وذلك بحكم علاقته الوطيدة بأغلبهم . كما أن شعر الجـابر نموذج «للشعر الخليجي الذي يمثل المدرسة الشعرية الموصولة بالتراث المعتـزة باللغـة المـرتبـطة بالتـاريخ المحافظة على العربية وقيمها ومثلها المتغنية بالإسلام وقيمه ونظامه الأكمل»(٣) . ولقد كان ذلك نتيجة لما تربى عليه الشاعر من دراسـة للعـربية ولأصول الإسلام على يد معلميه ، ولما امتاز به من حب للقراءة والاطلاع على المصادر العربية الأولى . ويشهد بذلك ما عمرت به مكتبته الخاصة من كتب تراثية كثيرة ، ولقد قمت بزيارة لمكتبة الشاعر فوجدت فيها ما يدل على عمق ارتباطه بالتراث العربي والإسلامي ، فالشاعر لديه طبعات قديمة من -على سبيل المثال لا الحصر- :-

يتيمة الدهر - المغني - الشرح الكبير - القاموس المحيط - الأغاني - زهر الآداب - العقد الفريد - معجم الأدباء - أساس البلاغة - الحلل السندسية - مجموع فتاوي ابن تيمية - أنساب الأشراف - ديوان الوجهة الذهبية - ديوان الخنساء - ديوان ابن زيدون - ديوان الهذليين - ديوان المتنبي - ديوان ابن خفاجه - ديوان الأخطل - ديوان امرؤ القيس - ديوان عمر بن أبي ربيعة - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى - أسواق العرب - شرح ديوان صريع الغواني - خزانة الأدب - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - شرح قصيدة ابن القيم مدامع العشاق - البيان والتبيين - الشوقيات - ديوان علي بن مقرب العيوني .

---

(١) ديوان الجابر ص٢ .
(٢) المرجع السابق ص٣ .
(٣) المرجع السابق ص٣ .

ولصلة الشاعر القوية بالتراث العربي فقد حفظ الكثير من الأشعار حتى أن بعض أبياتها دخل في شعره لا إرادياً وإذا سألته عنها قال إنها من الحافظة ولا أعلم لمن .

فلقد ذكر في مطلع القصيدة رقم ٢٥ ص ١٤٠ :

ان الكـــرام إذا ما أسهلوا ذكـــروا من كان يألفهم في المـــوطن الخشن

ولقد ذكر المحققان أن البيت من الشعر القديم ضمنه الشاعر قصيدته ، ولكنهما لم يوثقا البيت ولم يذكرا قائله . وكذلك فعلا في بيت آخر في قصيدة ٢٧ بيت ٤٢ ص١٥٣ وهو :

ومـن رمـى حجـرات فوقـه بطرا صـحى إذا شجـه منهن صاميهـا

فلقد وضع البيت بين هلالين دون ذكر السبب ودون أن ينسب لغير الشاعر فأصبحنا لا نعرف لمن هذا البيت .

يؤكد عبدالمجيد الخفاجى صاحب إحدى طبعات درر المعاني في مدح آل ثاني أن شاعرنا أجاد في شعره : «نظراً لتمكنه من اللغة ومعرفة أصولها وهو ينهج فيها النهج العربي القديم وهو راوية ممتاز يحفظ أكثر أشعار العرب والنوادر والأمثال»(١) .

لقد علق الشاعر - عند لقائي به - على الإخراج الفني للديوان بأنه مناسب لمحتواه ، فرسم الغلاف يدل على حياة البادية ، وشعر الشاعر يسير على النسق العربي البدوي القديم .

والقارىء «لشعره يجد مسحة الشعر الإسلامي بل الجاهلي ويجد فيه أيضاً صدى الصحراء وأنسام البادية وأمواج البحر»(٢) .

(١) درر المعاني ، ص٥ ، عبدالمجيد محمد الخفاجي - دار العروبة للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة .

(٢) ديوان الشاعر ، ص٣ .

والمسحة الإسلامية شواهدها كثيرة في الديوان ونذكر على سبيل المثال لا الحصر :

وتجـددت نعم تضـاعف حصرهـا لا يسـتـطاع لعـدهـا الإحصـاء
منـح من المـولى توالـت هل ترى أنّـا نقـيـم لشـكـرهـن أداء

(قصيدة : ١ ، بيت ٢ ، ٣ - ص ٢٩) .

فنعم الله لا يمكن أن تحصى ، كما أن أولى صفات الممدوح التي تذكر له عند الشاعر أنه تقي متواضع وقور :

تقـوى تسربـله وحسـن تواضـع وعـلا على سمـت الـوقـار بهاء

(قصيدة ١ ، بيت ٣٧ ، ص ٣٤) .

والشـاعـر راض بالقضـاء والقدر ونلاحظ ذلك في مرثيته للشيخ حمد بن عبدالله إذ يقول :

على رغـم الـعـلى حكـم القضـاء فسـامـح للقـضـاء متى يشـاء

(قصيدة ٢ ، بيت ١ ، ص ٣٦) .

وتتمثل الآية الكريمة : «يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»(١) . في ذهن الشاعر حين يقول :

أيـا حمد ناداك رب رؤوف حين أسـمـعـك الـنـداء
رضـيـت جواره واخـترت دارا تدوم لك الـسـعـادة والـبـقـاء

(قصيدة ٢ ، بيت ٦ ، ٧ - ص ٣٧) .

---

(١) سورة الفجر ، آية ٢٧ .

وقال أيضا :

تحف ملائك الرحمن نعشا تغشته المهابة والبهاء

(قصيدة ٢ ، بيت ٣٩ ، ص ٤٠) .

وهو يدعو الله أن يكون مع بلاده في كل ما يعترضهامن حوادث ومحن .

لنا الله في كل الحوادث إنه لنا وزر نرجوه دوما فننصر

(قصيدة ١٢ ، بيت ١٠٥ ، ص ٨٨) .

ويحث الممدوح على شكر الله فيقول :

أعلاك ربك يا علي فأوله شكراً يزيد كفضله المدرار

(قصيدة ١٤ ، بيت ١٧ ، ص١٠٢) .

كما يطلب من أميره أن يقتدي بهدي الرسول عليه الصلاة والسلام :

سر على بركات الله مقتديا بهدى من قلّ في الدنيا نظائره

(قصيدة ١٥ ، بيت ٥٣ ، ص ١٠٨) .

أما مسحة الشعر الجاهلي وصدى الصحراء وأنسام البادية فواضحة كل الوضوح في تشبيهات الشاعر وفي صوره وفي ثنايا شعره واستشهد المحققان على ذلك :

ونضو الرجا أدميت منه أظله على أثر نيل الجد طال طويله
وسعي على آثار جدّاء شارف إذا امتص خِلفٌ حنّ منه فصيله
وقد كان لي القدح المعلى لديهمو فقد ظل قدحي بينما أستجيله

(قصيدة ٢١ - أبيات ٧ ، ٩ ، ١٥ - ص ١٢٥ ، ١٢٦) .

اعتمد المحققان في شرح معاني الأبيات على من سبقهما من أصحاب «درر المعاني» ولقد أشارا في المقدمة إلى أنهما أفادا من شروح هؤلاء وملاحظاتهم ، ولكنهما في صلب الديوان عمدا -ولا أدري لماذا- إلى خلط شروحهما بشروح غيرهما بحيث أصبحنا لا نعرف لمن ينتسب هذا الشرح أو ذاك .

ولو رجعنا إلى درر المعاني بطبعاتها المختلفة لوجدنا أن طبعة خفاجي خالية من الشروح في حين أن طبعة شعبان بها ذكر للمناسبات مع بعض الشروح .

كما أن طبعة ٥٧ م ، جـ١ -والتي لا ذكر لجامعها ولا نعرف أين طبعت وفي أي مطبعة - بها شروح قليلة .

أشار المحققان إشارات تاريخية في مكانها بالإضافة إلى أسماء الأعلام والمواضع مع التعريف بها «تعريفاً أقرب إلى الإيجاز منه إلى الإطالة»(١) ، ولكن هذا الإيجاز قد يصل أحياناً إلى الإقلال كما حدث في تعريف الزبارة وإحالة القارىء على دليل الخليج(٢) . أو عدم ذكر تاريخ المواقع التاريخية كما حدث عند الحديث عن يوم الربيقة ووقعة الجبل الأحوى(٣) . مع إطالة في تعريف أسماء ومواضع أخرى قد لا تحتاج إلى التعريف لكثرة ما نشر عنها في الكتب السابقة ، من مثل تعريف سراقة بن مالك وأسماء بنت أبي بكر (ذات النطاقين) وهؤلاء ملئت بتراجمهم وتعريفاتهم الكتب فلم نضف جديداً بإضافة هذه التعاريف المطولة عنهم في الديوان(٤) . وإذا انتقلنا إلى جزء الحديث عن حياة الشاعر وجدناه منقولاً نقلاً حرفياً من كتاب الدكتور كافود «الأدب القطري الحديث» وذلك لكون الدكتور كافود أحد عضوي التحقيق .

أسند المحققان معلومات عن حياة الشاعر وأخذت عن الشاعر ، إلى كتاب

---

(١) مقدمة الديوان ص٥ .
(٢) الديوان ص٥٠ .
(٣) الديوان ص٨٧ .
(٤) الديوان ص١٤٤ .

الدكتور كافود في حين أن المقابلة التي هي مصدر تلك المعلومات سابقة في تاريخها على الكتاب ، فكان من الأجدى إسنادها إلى صاحبها وهو الشاعر وليس الكتاب المشار إليه . ثم إن إحصائية تعليمية ذكرت في المقدمة واسندت كذلك إلى الكتاب السابق في حين أن الكتاب نفسه يسندها في موضعها إلى غيره .

ثم إن الشاعر لازال بين ظهرانينا ومع ذلك اعتمدالمحققان في تحقيق الديوان على مقابلة أجريت معه قبل التحقيق بما يقارب خمس سنوات فقد حقق الديوان في عام ١٩٨٣م والمقابلات كانت في عام ١٩٧٨م .

هذا إضافة إلى أن مناسبات القصائد أخذت في جلّها عن «درر المعاني» طبعة شعبان مع ترك بعض القصائد بدون إيضاح لمناسباتها كما حدث في قصيدتي ٢١ ، ٢٣ .

ومن خلال إيراد حياة الشاعر وتتبعها يستشهد المحققان ببعض أبيات من شعره فيمن مدحهم وذكرهم ، كما بينا علاقته الوظيفية والاجتماعية بالممدوحين وهم جل حكام آل ثاني بدءاً من الشيخ عبدالله بن جاسم إلى الشيخ خليفة بن حمد (أمير البلاد الحالي) كذلك فإن الشاعر لم يقتصر على مدح هؤلاء بل انتقل إلى المحيط الخليجي فقال قصيدة بمناسبة زيارة الملك سعود بن عبدالعزيز (الملك الأسبق للمملكة العربية السعودية) وأخرى في ابن جلوى - وقد ذكر لي أنه لا يدري أين وضع هذه القصيدة - كما مدح بعض أمراء آل خليفة . وعلى المستوى العربي العام قال قصيدة بمناسبة زيارة الملك حسين بن طلال لقطر ، وأخرى في تأبين الرئيس جمال عبدالناصر ، وقصيدة إسلامية في ذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، وقصائد قصار في بعض النواحي الاجتماعية مثل الحث على التعليم والأخلاق الحميدة .

ولاحظ الباحثان اختفاء الجانب الغزلي من شعره لأنه لا يمثل ولا يناسب السمة العامة المميزة لشخصيته وحياته فهو «إمام ومحدث وقارىء وكاتب وخطيب

جمعه وجماعات وأعياد»(١) وهذا ما أكده لي الشاعر عندما التقيت به إذ يرى أنه ليس من المناسب لمن عاش منذ شبابه الأول كإمام مسجد أن يتغزل بهوى أو يذكر جوى .

وعن البناء الفني لقصائده فقد ذكر المحققان أن الشاعر تخلص من المقدمات الطللية والغزلية التي كانت سمة للعديد من المعاصرين له أمثال محمد بن عثيمين وماجد الخليفي . فعلى سبيل المثال يقول ماجد الخليفي مادحاً أحد أمراء البحرين :

أهـل الحمى بانـوا فبـان عزائيا ... وأذللت دمعـاً كان بالأمس غاليـا
وكنت احتسبت الصبر خير مساعد ... فوالله ما أجـدى عليّ اصـطباريا
وقـفـت على الأطـلال معتنقـا بها ... سلوّا فهـاجتني الـرسـوم البواليا(٢)

ويظل يذكر محبوبته ويقف على أطلال دارها في ما يقارب العشرين بيتاً إلى أن يقول في بداية مدحه :

خليـلي طارحني الحـديـث وغنني ... بذكـر حمود لا بذكـر الـغـوانيـا
جميـل المحيـا لابس خلعـة التقى ... ومكتسب الخيرات كهلاً وناشـيا(٣)

ولكن شاعرنا الجابر يدخل إلى المديح دخولاً مباشراً دون مقدمات ، فيقول مادحاً أمير البلاد وفي عيد جلوسه عام ١٩٨٥ م :

وافـاك في موكب الأعيـاد مشتـاق ... إني إلى ساحـة الـعـليـاء سبّاق
أقبلت في عيـدك الميمـون يسبقني ... قلب بحبـك - يامـولاي - خفّـاق
أزجي التهـاني إلى من عنـد سدتـه ... للشعب عدل وإنصاف وأرزاق(٤)

والقصيدة تقـع في واحـد وأربعـين بيتاً ، وقد حصلت عليها من الشاعر مطبـوعـة بالآلة الكاتبة ، وهي غير واردة في الديوان لكونها متأخرة على تاريخ

(١) ديوان الجابر ص١٨ .
(٢) من الشعر القطري ص١٧٥ ، ط٢ ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م - مطابع قطر الوطنية .
(٣) من الشعر القطري ص١٧٦ ، ط٢ ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م - مطابع قطر الوطنية .
(٤) ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة تحمل تاريخ ٢٢ فبراير ١٩٨٥م .

صدوره ولسوف ألحق هذه القصيدة كاملة بهذه المراجعة

ولعل بعد الجابر عن المقدمات الطللية راجع إلى نفس السبب الذي جعله يبتعد ويمتنع عن قول الغزل في شعره سواء أكان غرضاً أساسياً للقصيدة أم فرعاً موصلاً للغرض الرئيسي وهو كونه إماماً ومحدثاً ، فبكاء الأطلال لا يتأتى من فراغ ، لأن الشاعر لا يبكي الطلل لكونه طلل فحسب فالأطلال كثيرة ولكنه يبكي طلل بعينه ، تعلق قلبه بمن سكنه وأحياه . وعلى ذلك فالمقدمة الطللية توصل إلى الغزل وهذا ما لا يريده شاعرنا . أثبت المحققان أبيات الغزل الوحيدة واليتيمة للشاعر عند ذكرهم لحياة الشاعر وشعره والتي لم تكن سوى اجازة لبيت ذكره له أحد الأصدقاء . ذكر الشاعر -عند التقائي به- أنه لم يقل هذه الأبيات كما هي مكتوبة في الديوان ولذا فلابد من تصحيحها ، فلقد ورد في مقدمة الديوان أنه قال :

سالت دموعي إذ سالت مدامعه ... وأنكأ الجرح في قلبي فأدماه
سألت قاضي الهوى العذري مرحمة ... فقال داء قديم قد عرفناه
داء القرون الألى هامو فلم يجدوا ... ما قد يفيدهم عن سر مغزاه
داوؤه الوصل إن جاد الزمان به ... هناك مات الهوى لما دفناه(١)

وصححها الشاعر لي إلى :

سالت دموعي إذ سالت مدامعه ... وأنكأ القرح من قلبي فأدماه
سألت قاضي الهوى العذري مرحمة ... فقال داء قديم قد عهدناه
داء القرون الألى هامو فلم يجدوا ... من قد يفيدهم عن سر مغزاه
دواؤه الوصل ان جاد الزمان به ... هناك مات الهوى لما دفناه

والتصحيح يبدو لأول وهلة ومن أول قراءة له أنه لم يغير شيئاً في الأبيات والمعنى ، ولكن لو تمعنا فيه جيداً لوجدنا الآتي :

---

(١) الديوان ص١٩ .

١ - القرح والقروح أشد ايلاما من الجرح والجروح .
٢ - ان الاستبدال الذي حدث في حرف الجر قد غير المعنى إلى معنى أعمق .

فعنـدما يقول الشاعر (الجرح في) نظن نحن أن شفائه منه ممكن ، ولكن عندما يقول(القرح من)فكأن قلبه يتآكل بقرح - لا بجرح - والشفاء عسير ودرجة الادماء أشد .

٣ - استبدال العهد بالمعرفة أبلغ هنا فأن تعرف شيئاً لا يعني أنك جربته وخبرته بعكس العهد به .
٤ - استبدال (من) بـ (ما) في البيت الثالث يوضح المعنى أكثر ويحدده . لأن (ما) قد تعني أي شيء ولكن (من) تعني الإنسان بالذات وهو من يجرب الهوى ويعرفه .

ذكـر المحققان أن الشاعر في الوقت الحاضر يتولى «الإشراف على جنسية المجنـدين في الجيش وهـو بالإضـافـة إلى ذلـك يدير بعض الأعـمال التجارية الخاصة»(١) . ولقد سألته عن ذلك فذكر أنه ترك العمل الحكومي منذ سنوات ، إضافة إلى أنه لم يستمر في التجارة فمن كان في عمره لا يقوى على متابعة مثل هذه الأعمال فهو قد بلغ الثامنة والثمانين من العمر .

أما عن صوره وأوصافه -فكما لاحظ الباحثان- فقد اعتمد فيها على محصوله ومما يحفظ من التراث فسار على نهج السابقين في وصف الممدوحين فالممدوح كالأسد في شجـاعتـه وكالبدر في إشراق وجهه . هذا بالنسبة للموضوعات والمعاني أما بالنسبة لترتيب القصائد ، فلقد كان المنهج فيها السير على الترتيب الهجائي . ولو تتبعنا الديوان لوجدناه لا يخل بذلك المنهج إلا في آخر قصيدة ، والتي ألحقت بالديوان بعد اكتمال طباعته . كان من الأجدى لو عدل المحققان عن هذا الترتيب

(١) ديوان الجابر ص١٢ .

إلى الترتيب التاريخي ، فالشاعر عند طباعة الديوان لا زال يقول الشعر ، ولو رتب الديوان ترتيباً تاريخياً لكان أسهل على الباحث أن يضيف القصائد التي تلت ظهور الديوان في مكانها الصحيح .

ان الشاعر قد تطرق لأغراض قلة ، انحصرت في الأغلب الأعم من شعره - إن لم يكن كله - في غرض واحد وهو المديح . لذا فإن الترتيب التاريخي للديوان كان سيخدم الدارس للحقبة التاريخية التي مر بها الشاعر ، ثم إن ذلك سييسر الدراسة الأدبية والتاريخية لشعره . ولقد وافقني الشاعر على هذا الرأي ، وذكر أنه لم يشاور في ترتيب قصائد ديوانه .

ونلاحظ في الديوان أن المحققين لتوافر عدة طبعات لديهما من بعض قصائد الشاعر ضمن كتب أشعار سابقة تدخل أصحابها في تصحيح بعض الأبيات التي بهاعيوب كالإقواء ومع توافر الأصل فإن المحققين رجّحا كفة تلك الكتب على الأصل فجعلاه في الهامش ، وكان الأجدى أن يثبتا الأصل ويشيرا إلى تصحيح صاحب «درر المعاني» أو غيره في الهامش .

استطلعت رأي صاحب لديوان في ذلك فوجدت أنه متمسك بالأصل على مافيه ، وأظن أن اثبات الأصل أولى لفتح المجال لدراسات قد تقوم على مثل تلك الأخطاء . من مثل قول الشاعر :

كيف الرجوع وقد شالت نعامتكم وشيعت بقلوب ملؤها الرعب

غيّرت إلى :

وشيعت بقلوب فضن بالرعب(١)

تخلصاً من الاقواء ، والشاعر يعرف أن بيته غير مستقيم وهو يصر أن أصل شطر بيته «بقلوب ملؤها الرعب» لذا كان من الأفضل أن يثبت هذا في أصل القصيدة ويعلق عليه بالاقواء والتبديل في الهامش .

---

(١) الديوان ص٥٢ .

والأصل الأول وهو ما كتب بخط الشاعر أو ما أجازه الشاعر يعد من النسخ العالية عند من يعتنون بتحقيق النصوص لذا فإن الأجدر بالمحقق : «أن يثبت ما ورد فيها على علاّته خطأ كان أو صواباً ، على أن ينبه في الحواشي على صواب ما رآه خطأ حرصاً على أمانة الأداء»(١) . كذلك علق الشاعر على ما أثبت في الديوان في قصيدة ٥ -بيت ١٢- ص ٥٢ في قوله :

وأدبرت سفنكم والذل شيعها يا منظرا مخزيا في سوء منقلب

علق على ذلك بأن الأصل هو قوله :

وأدبرت سفنكم والذل شايعها يا منظرا سرّ بَلْ يا سوء منقلب

وأضاف بأن المشايعة تختلف عن التشييع لأن المشايعة هي الموادعة لمدة يوم أويومين أما التشييع فهو التوديع حتى المركب أو السفينة أو المنزل فقط - أي أن المعنى الأول أعمق فالمشايعة تعني ملازمة التوديع - وهذا ما أيده المعجم الوسيط إذ نجد فيه «شايعه مشايعة وشياعاً : تبعه وصحبه وأيده ، وصحبه مودعاً . وشيع فلاناً : خرج معه ليودعه ويبلغه منزله» (٢) وقد قصد الشاعر أن الذل لازم السفن مدة ليست بالقصيرة ، أما ما فعله المحققان ومن سبقهما من تغيير في اللفظ فقد غيّر وقصّر من المعنى المراد . وعندما يقول الشاعر «يامنظرا سربل يا سوء منقلب» فإنه يأتي بموقفين متناقضين في شطر بيت واحد وهما شعور المنتصر وخيبة الخاسر الذي رجع دون أن ينال ما جاء لأجله . فالسرور والخيبة جاءا في لقطة واحدة .

أما الشطر المثبت في القصيدة «يامنظرا مخزيا في سوء منقلب» فيعتبر تدخلاً أوقف حركة الصورة التي أتى بها الشاعر . فأصبحت صورة ثابتة في اتجاه واحد

(١) تحقيق النصوص ونشرها ص٧٣ ، عبدالسلام هارون ، ط٤ ، ٩٧هـ ، ٧٧م . مكتبة الخانجي ، القاهرة .

(٢) المعجم الوسيط ، جـ١ ، ص٥٠٣ .

وهو اتجاه الخاسرين ، ولم يقصد الشاعر ذلك بل قصد أن ينقل الصورتين في حركة سريعة أشبه بحركة كاميرا التلفزيون - في الوقت الحاضر - والتي تعطي تعابير وجهين في آن واحد .

لقد تصفح الشاعر الديوان وأشار إلى تغييرات أخرى حدثت في شعره . ففي قصيدة ١٢ - أبيات ٨٧ ، ٨٩ والتي قال فيها :

أبى عزنا دين الملوك وحاذر طرق حمانا هيبة المتسور
وأرض عمان قد أبدنا سراتها كساحة خنوّر بها الناس تسعر

قد غيرت في الديوان إلى :

أبى عزنا دين الملوك وماسعى طرق حمانا هيبة متسور
وأرض عمان قد أبدنا سراتها وساحة خنوّر بها النار تسعر

هذا بالإضافة إلى خطأ مطبعي لم يصحح في قول الشاعر وقد نقل نقلاً من درر المعاني طبعة شعبان .

فقد قال :

أألزبارة أطريتم مغالطة يالعجائب من عرف وانكار

(قصيدة ١٣ - بيت ٢٥ ، ص ٩١) .

وقد كان الخطأ :

أبا الزبارة أطريتم . . .

وكذلك كان الحال في قول الشاعر :

الآن لما علا عليك صهوتها جرّت بيمنك للعلياء أذيال

(قصيدة ١٩ - بيت ٤ ، ص١١٧) .

غيرت في الشطر الثاني إلى :

جرت بيمنك للعلياء أذيال

مع أن محققي الديوان انتبها إلى خطأ مطبعي في طبعة م ، ش في موضع آخر وأشارا إلى ذلك في الهامش والحاشية في قول الشاعر :

مولاي هاك خريدة أربت على أترابها كالكوكب السيّار

(قصيدة ١٤ - بيت ٣٦ - ص ١٠٤)

أشارا إلى أنها في م ، ش «كالكواكب» وهي من أخطاء الطبع ، وكذلك فعلا في قصيدة ١٩ ، بيت ٢٠ ، ص١١٩ .

وهناك ملاحظتان يلاحظهما القارىء لشعر الجابر ولا نجدهما في حديث المحققين عن شعر الشاعر وهما :

١ - التكرار في قافيته .

٢ - الحداثة وألفاظها في شعره .

ولو رجعنا إلى ديوان الشاعر لوجدناه يحفل بالتكرار لكثير من ألفاظ القوافي وكلماتها فلو أخذنا على سبيل المثال قصيدة رقم ١٤ ، لوجدنا الآتي :

الكلمة	البيت
١ - الأبصار	٨ ، ١٩
٢ - الباري	٣ ، ٢٣
٣ - الآثار	١٦ ، ٢٤
٤ - المضمار	٦ ، ٢٨
٥ - الأنوار	٢٧ ، ٣٠
٦ - الأقدار	٢٥ ، ٣١
٧ - الساري	٥ ، ٣٥

علق الشاعر على ذلك بأنه إذا كان بين البيت الأول والبيت الثاني الذي تكررت فيه نفس القافية ثلاثة أبيات وهو الرابع فإن ذلك لا يضر بنظام ونسق القصيدة ولا يخل بها .

كان شعراء وكتاب عصر ابن سنان الخفاجي مولعين بتكرار الألفاظ «حتى لا يكاد الواحد منهم يغفل عن كلمة واحدة فلا يعيدها في نظمه أونثره ، ومتى اعتبرت كلامهم وجدته على هذه الصفة ، وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة ويغض من طلاوتها أظهر من التكرار لمن يؤثر تجنبه وصيانة نسجه عنه ، إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمل ولا دقيق نظر ، وقلما يخلو واحد من الشعراء المجيدين أو الكتاب من استعمال ألفاظ يديرها في شعره حتى لا يخل في بعض قصائده بها ، فربما كانت تلك الألفاظ مختارة ، يسهل الأمر في إعادتها وتكرارها ، إذا لم تقع إلا مواقعها ، وربما كانت على خلاف ذلك»(١) .

هذا بالنسبة للتكرار أما الحداثة في شعر الجابر فنجدها متمثلة في أن شعره حفل بألفاظ حديثة مستجدة لم تكن مستعملة من قبل في لغة أهل قطر الشعرية .

فالجابر لم ينفصل تماماً عن واقعه الحديث الذي عايشه برغم أنه عايش عدة أجيال .

ومن هذا قوله في الخنافس :

وقد عقد الخنافس في جبين وأرخى من أنوثته حجابا
وغرز المشط وسط الرأس شرط . إذا خاض الخنافس فيه غابا

وهو يقصد هنا جماعة المتمدينين في أوائل السبعينات . وقوله :

شباب الجرك والتوويست فيهم بلعب الروك قد أبدوا عجابا

(قصيدة ٤ - بيت ٥ ، ٦ ، ١٠ - ص ٤٨)

وقوله في نفس القصيدة بيت ١٢ :

غزانا الغرب غزوا بعد غزو فلما شارف الأخلاق طابا

(١) سر الفصاحة ص ١١٨ : ابن سنان الخفاجي - صححه وعلق عليه عبدالمتعال الصعيدي - ٧٢هـ ، ٥٣م - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة .

والغرب هنا هم أهل أوروبا وهو استعمال حديث للكلمة وهو يقصد هنا الغزو العسكري والثقافي والأخلاقي . وقوله :

ويُبْعَدُ م الـوظـائـف كل فرد على منهـاجـهم كشف الحجـابـا

(قصيدة ٤ - بيت ١٨ - ص ٤٩)

وكلمة «وظيفة» لفظ حديث لم يكن شائعاً من قبل في قطر وقد حل محل كلمة عمل أو شغل .

هذا إضافة إلى كلمات وألفاظ أخرى في هذه القصيدة وغيرها من القصائد من مثل : الشعب والشعوب - النهضة - الوطن - التضحية في سبيل الوطن - الصرح - الرئاسة والرئيس - عيدالجلوس - الوحدة العربية - العروبة - أسطول وأساطيل - السياسة - المبادىء - المدارس - المعاهد - البيئة - المشاريع - ملء الفراغ - اشتراكية - ناشر - مذيع - الارادة -المستشار - تتويج - أجيال - عاهل - زعيم الشعب - بني وطني - المخطط - (ريجان وبيجن) - مجلس الأمن - العاصمة والعواصم - الافلاس - دولة - العَلَم (بمعناه الحديث) - الرائد - المجلس الأعلى . . إلخ .

في ختام مراجعة ديوان أحمد بن يوسف الجابر أود أن ألحق بالديوان قصيدة قالها الشاعر في ٢٢ فبراير ١٩٨٥م ، يهنىء فيها صاحب السمو أمير البلاد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بعيد جلوسه وهي تقع في واحد وأربعين بيتاً .

وافـاك في موكب الأعيـاد مشتاق إني إلى ساحـة الـعـليـاء سبّـاق
أقبلت في عيـدك الميمـون يسبقني قلب بحـبـك يامـولاي خفّـاق
أزجي التهـاني إلى من عنـد سدتـه للشـعـب عدل وإنصـاف وأرزاق
يحدو خطاي وفـاء أنـت تعـرفـه ولاؤه لك بالإكـبـار دفـاق

صقر الخليج رعاك الله ما برحت ... نعماك نبع من الخيرات رقراق
والحكم منذ عرفنا في أبي حمد ... دعامتاه هما دين وأخلاق
وما عهدناك إلا رب مكرمة ... أعماله لرخاء الشعب مصداق
عهد يقوم على الاصلاح ما كتبت ... عن مثل ما فيه أقلام وأوراق
أثنى عليه الورى حتى كأنهموا ... بغير مدحك يامولاي قد ضاقوا
ففي يسارك يسر نحن نعرفه ... وفي يمينك للمرزوق ترياق
عيد الجلوس رعاك الله إنك في ... في أيامنا بجميل الصنع إشراق
في كل يوم جديد نحن نشهده ... من عاهل عهده بالخير غداق
الحاكم العادل البر الكريم إذا ... ما مسّك الضر أو أعياك إملاق
والعاهل الصادق العف النزيه له ... في الحق بأس وإنصاف وإحقاق
قد ورثته أصول العز من حمد ... مجدا تشرفه بالفخر أعراق
خليفة وكفاه أنه علم ... بين الملوك عزيز الجاه خفاق
يرنو له الشعب بالإكبار في قطر ... فحبه عندها عهد وميثاق
تحفه بولاء صادق وهوى ... في كل نفس له غور وأعماق
وما مشى ركبه إلا مشت معه ... ترعاه أفئدة منها وأحداق
هو الهوى في قلوب منه عامرة ... وللمعالي مدى التاريخ عشاق
يا مطلع السعد والإشراق طالعنا ... عيد الجلوس ونور العيد ألالق
فجئت في موكب التاريخ أنشده ... مشاعراً كلها حب وأشواق
وما أهنىء إلا الشعب في قطر ... إذا تسامت إلى العلياء أعناق
يظلل الأمن والإيمان ساحتها ... وما درى الأمن إلا من له ذاقوا
عهد على الحب قد قامت دعائمه ... والبغض في الناس تدمير وإحراق
ماذا أقول عن الاصلاح في قطر ... وفيض نعماك أنوار وإشراق
تعلو على أرضها الهامات شامخة ... فما تذل لغير الله أعناق
وأنت فيه المرجّى يا أبا حمد ... وأنت بين الملوك الغر عملاق
لم يعرف الناس إلا الخير منطلقا ... من راحتيك إذا ما عم إملاق

ولا رأى الشعب إلا ما كفلت له ... من نعمة كلها بذل وإنفاق
دم يا أبا حمد للشعب مفخرة ... فحبنا لك بالإخلاص ميثاق
على يديك أمان نحن نعرفه ... وسائر الأرض إرعاد وإبراق
والخير في عهدك الميمون مكتمل ... والشر من حولنا للناس خنّاق
فيا بلادي حماك الله يا وطنا ... في رحب ساحته للحر آفاق
ونحن منك على عهد الوفاء لمن ... كفّاه باليسر إنعام وإغداق
ومن أبوه إذا ما قيل من حمد ... فعطر سيرته في الناس أعباق
قد كان فينا إماما عالماً ورعا ... وعاهلا عهده بالخير دفّاق
فإن رأينا الأماني في خليفته ... فنحن للعز والأمجاد عشاق
عش يا أبا حمد واسعد فما قطر ... إلا فؤاد بما أنعمت خفّاق
وليجعل الله ما نرجوه في حمد ... ولي عهدك للمأمول مصداق
ودمتما كوكبي عز ومرحمة ... سناكما في سماء المجد أللاق

وأخرى في عيد جلوس الشيخ خليفة بن حمد أمير البلاد في ٢٢ فبراير ١٩٨٧م والتي يقول فيها :

عيد لأمجادك الغراء ينتسب ... بمثله تزدهي الأيام والحقب
رفعت فيه لواء الحق عن ثقة ... باللّه حتى أتاك النصر والغلب
وللعظائم أبطال يؤهلهم ... لنظرة الحق آباء لهم نجب
وما رأيناك يوماً يا أبا حمد ... إلا وقد صحباك العزم والدأب
تسعى ورائدك الإصلاح في وطن ... للخير منك مدى الأيام يرتقب
حملت أعباء شعب أنت قائده ... وأنت رائده العلامة الذرب
وصنته بأمان منك يحفظه ... في عالم صاخب بالشر يضطرب
وللبلاد حقوق أنت كافلها ... وللرعية منك العطف والحدب

(*) هذه القصيدة أعطاها الشاعر للباحثة ظبية السليطي ، أثناء إعدادها المراجعة النقدية لديوانه المنشور .

أهـلاً بعيدك عيدالشعب في قطر ... وعيـد كل جليـل منـك نرتقب
عيـد بدأت به عهـداً تكـابـده ... إلى ذرى المجـد في عليـائها تثب
مسـيرة لك بالإصـلاح نعـرفهـا ... يقضي بها العدل والإرماح والقضب
في بهجـة العيـد يدعـوني الوفاء إلى ... من كل فضـل إلى عليـاء ينتسب
أهـدي وفـائي وإجـلالي لسـدتـه ... وقـد سعى بي إليهـا الشعر والأدب
والفضـل والعـدل كانـا في أبي حمد ... للنـاس خير ملاذ أينـما ذهبـوا
صقـر الخليـج تسـامى ذكـره شرفـا ... وعـاش في ظله دان ومـغـترب
صان بالبـلاد بعـزم صارم ويـد ... في كل معـضـلة كبرى لها الـغـلب
وسـاس باليـمن والإقبـال أمتـه ... حتى تعـالت بها في العـالم الـرتب
خليـفـة وكـفـتـه ذاتـه شرفـاً ... فما تعـالى به بعـد اسـمـه لقب
له إلى المجـد من أفعـالـه سبب ... ولـلمـكـارم من آلائـه سبـب
عمّـت مآثـره في كل ناحـيـة ... فنـال من بره ناء ومـقـترب
قدمت في العيـد إجـلالي لصـاحبـه ... يمـلي على وفـائي بعض ما يجب
أقضي حقـوق ولاء كلهـا ثقـة ... في عاهـل أكبرت أمجاده العرب
خليـفـة رائـد الإصـلاح في بلد ... يسـومـه ألمـعـي بارع ذرب
خليفة صاحب الـرأي السديد بما ... تقضي العـدالـة لا حقد ولا غضب
خليـفـة من يلوذ الـنـاس قاطبـة ... به إذا حادت الأحـداث والنـوب
خليـفـة من يعـز الحكم مفخـرة ... بمحكمـه ويتيـه الجـاه والحسب
ياوارث الـعـزة القعسـاء من حمد ... أكـرم به أب للمـتـقـين أب
أيـامـه الـغـر مازالـت مسـطرة ... بالفخـر تذكـرهـا الأنبـاء والكتب
أقـام بالـدين والتقـوى إمـارتـه ... حتى غدت دولـة يزهـو به العقب
وأنـت ياوارث الأمجـاد فارسـهـا ... وأنـت عدّتهـا والصـارم الـذرب
تحيـة الـعيـد تهديهـا إليـك على ... صدق الـوفـاء قلوب بالهوى تجب
نعـماك فيـهـا على الأيـام باقيـة ... ويمن عهـدك بالخـيرات ينسكب
وفـيض برّك للآمـال منـتـجـع ... وأرض عدلك فينـا المرتع الخصب

فعش منـارة شعـب لامـلاذ له إلا إليـك وأنـت القصـد والأرب
ودام في ظلّك السـامي لنـا حمد فإنـما بعـلاكم يفخـر العـرب(١)

من كل ما سبق يتضح لنا أن ترتيب الديوان بحاجة إلى إعادة نظر بحيث يرتب تاريخيًّا في الطبعة الثانية له ، فلا تسقط منه قصيدة أو تلحق به أخرى فتخل بنظامه .

ومـا سبق من مراجعـة للديوان لا يقلل من قيمـة العمـل الـذي قام به الأستاذان ، الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري والدكتور محمد كافود ، وأرجو من الله أن أكون قد قاربت الصواب فيما ذهبت إليه ، وإن لم يكن كذلك فهو عمل من مجتهد ولكل مجتهد من عمله نصيب .

(١) نشرت هذه القصيدة في جريدة الراية في ٢٢ فبراير ١٩٨٧م .